مجلة دراسات دوليّة

**اسم المقال:** متغيرات المجتمع الأمريكي وأثرها على أداء السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر: الطبقة الوسطى انموذجاً
**اسم الكاتب:** أ.د. حميد حمد السعدون
**رابط ثابت:** https://political-encyclopedia.org/library/6964
**تاريخ الاسترداد:** 2025/04/22 07:50 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

# متغيرات المجتمع الأمريكي وأثرها على أداء السياسة الخارجية الأمريكية بعد ١١ سبتمبر: الطبقة الوسطى أنموذجاً

**الأستاذ الدكتور**
**حميد حمد السعدون**(*)

## المقدمــة

شكلت أحداث ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ ، منعطفاً مهماً بين مرحلتين من العلاقات الدولية ، وأضفت أبعاداً جديدة على كافة المجتمعات في العالم حتى عد البعض ما حدث بأنه "ويستيفاليا جديدة" أسست لأنماط جديدة من التفاعلات الدولية. وما إعلان الولايات المتحدة الأمريكية، الحرب على الارهاب في افغانستان عام ٢٠٠١، ومن ثم احتلالها العراق عام ٢٠٠٣، إلاّ ارهاص للسلوك السياسي المرتبط بذلك التحول . وقد أضفت تلك الحادثة تأثيراً مباشراً ومهماً على بنية المجتمع الأمريكي، وفي المقدمة منه الطبقة الوسطى، ذات الفاعلية الكبيرة والمهمة في حركية المجتمع، خاصةً وان تلك الطبقة، تمكنت من خلال تطور المجتمع الأمريكي، أن تبرز قدراتها لامكاناتها على ترجمة الكثير مما يلوّح به الحلم الأمريكي.

هذا البحث محاولة استكشاف لدور تلك الطبقة وما تعرضت له من تضييق وحصار ومصادرة، بما يكاد أن يعرض المجتمع الأمريكي بعمومه الى أشكال تفتيتية "دينية، قومية، عنصرية،..... الخ" ويؤدي من ثمَّ الى تساقط هذه الإمبراطورية الباذخة.

(*)مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد.

**الديمقراطية والطبقة الوسطى:**

لقد استقطب أداء السياسة الخارجية الأمريكية الاهتمام الأكبر من قبل المعنيين في رصد واستكشاف القوى الكبرى وقدرتها على مواصلة دورها العالمي، وبما تحمله من أثر، وقيم ذات انعكاسات ايجابية، على عموم المجتمع الدولي، ونادراً ماتم تحليل أثر تلك الاحداث في المجتمع الأمريكي وبنيته، الا في اطار تقييد الحريات واصدار قوانين جديدة لحماية (الأمن القومي الأمريكي) دون الاسهام في توضيح أثر الحادي عشر من سبتمبر، في الركائز الاساسية للمجتمع الأمريكي، كالطبقة الوسطى والهوية السياسية وهذا متأت، كما نرى، إما من عدم الاهتمام بما يحدث، او الجهل بمضامينه ومردوداته اللاحقة على البنى المجتمعية، او لشيوع ظاهرة البراغماتية كسلوك متسع في عموم المجتمع، كون ايلاء المصالح الشخصية الاهتمام الاكبر ،على دونها من قضايا، تقع خارج النطاق الجغرافي الأمريكي.

ونجد عبر الرصد التاريخي لنشأة الدولة الأمريكية على يد مجموعة من المهاجرين الذين استولوا على أراضي السكان الأصليين ،انها أسست أيضاً من جانب "مبشرين" وفدوا الى تلك الأراضي لنشر الديانة المسيحية، وان دورهم كان نشر كلمة–الرب– في العالم، وفقاً لما يعتقدون، بمعنى انهم وبحكم التطور الاجتماعي– التاريخي، مشبعون الى اليوم بحماسة للرسالة التي يؤمنون بها، الأمر الذي يعني وجود تصور ديني رسالة لدى الأمريكيين، عن هدفهم بنشر كلمة "الرب" وبتصور مسيحي غربي، ومثل ذلك قد يفسر السعي لتصميم نمط الحياة الأمريكية"Pax –Americaa".

يشير– توكفيل – صاحب كتاب "الديمقراطية في امريكا" باجزائه الاربعة، انه منذ القرن التاسع عشر، فقد بدى ان " الطهورين البروتستانت –وهم شديدو التشبث بمثلهم الدينية والاخلاقية–هم الذين أسسوا الولايات المتحدة، بعد ان ذاقوا القمع

والتهجير، وهو الأمر الذي يستندون اليه في الدفاع عن حقهم في الاستمتاع بملذات الحياة ، وهو مايتسق ومقوم الديمقراطية الاساسي الذي اصبح مقوماً للحياة الأمريكية بعدها ، وهي " الفردانية Individualism " التي يحميها القانون ، بحيث أصبح الأمريكي لايعول الأ على نفسه ، وعلى العقل المشاع ، ولايعتمد على ايدلوجيا وفلسفة توجهه ، بل ان همه الاكبر النجاح المادي وجمع المال والثروة"[1].

ومثل ذلك، اضفى نهجاً تهديمياً في ركائز المجتمع الأمريكي ، الأمر الذي اكد " خلو النموذج الرأسمالي من أي مضمون اخلاقي أو ديني ، يهذب السمات التي يتصف بها ، مثل الركض وراء الربح بأي وسيلة والطمع وعدم الاهتمام بأي ابعاد انسانية، خلال عملية اللهاث خلف تكديس المنافع المادية"[2]. وهو الأمر الذي يبرز جلياً في طبيعة الاقتصاد الأمريكي القائم على تلبية حاجة الفرد وتقديسه، كما تدل عليه صورة البطل الفرد في ماتقدمه مدينة السينما في "هوليود "من انتاجات فلمية لاتعد ولاتحصى . وكل ذلك يشير الى الرؤيا الأمريكية الدينية "الاصولية " Fundamentalism" التي تتميز بفرديتها ، فضلاً عن ذلك ، فان بعض الدراسات تشير ان تغيير العقائد لدى الأمريكيين ،لايتم كتيار واسع أو بصيغة تنظيم جماعي .

على ضوء ما سبق، فان المجتمع الأمريكي يستند الى رساليته، وهو مايؤثر على أداء السياسة الخارجية، والى الفردانية، التي تنظم شأن المجتمع الداخلي ، وهذا مايوضح أن هذين المقومين تعبر عنهما في المجتمع الاميركي "الطبقة الوسطى"، التي تعد حاضنة للفرد ومعبرة عن هويته في مجتمع متعدد الأعراق والثقافات ، مما يمنحها أن تؤدي دوراً مركزياً في الانتقالات المهمة في حياة الفرد والمجتمع[3]، كما أن

---

[1] Alexis De TocQueville – Domocracy in America – volume I– university of chiGaGo press 1992–p: 417–423 .

[2] M.A Thawady –Globalization of the other underdevelopment –kuata Lumpur : A.s Noordeen 2002–p: 86

[3] Rodney A.Smolla – Free speech in an open society –knopf 1992–p: 114 .

الطبقة الوسطى ، بقدرتها على التعبير عن هوية المجتمع ، تكون المكون الرئيس للحكم والسلطة ، كونها جاءت كتعبير عن مصالح اقتصادية ونتاج التطور الصناعي في الغرب ، وبروز حق الملكية ، كما انها الفاعل الرئيس في ترسيخ وتطوير الاداء الديمقراطي في الهيئات والمؤسسات التي تشرع وتصنع القرار السياسي وبما يتماشى ومصالحها .

ويتضح دورها وبشكل تطبيقي من خلال مسألة "النيابة " في نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث نجدها تركز على نظام "الولايات " التي تتيح للسكان المحليين ، ان يختاروا ممثليهم وينظموا حياتهم بقوانين وتشريعات محلية[1].

وكذلك يلاحظ في هذا الجانب ، الدور الفاعل لجماعات المصالح في عملية صنع القرار الأمريكي ، وكذا الأمر بالنسبة للاحزاب ، التي هي أحزاب هيكلية لاعقائدية ولاايدلوجية ، بقدر ماهي ماكينات انتخاب دائمية ، تحاول أن تقدم الافضل في خدمة مصالحها ، استناداً الى أئتلافات مصلحية ترجح كفة الشخص المؤهل لتمثيل مصالحها في الحكم ، بشكل يبرز تطبيق الديمقراطية النيابية .وعليه

نجد ان المجتمع الأمريكي ، يستند الى الطبقة الوسطى كهوية حاضنة للفرد ، عن طريق سيادة القانون والمساواة .

وتعد الطبقة الوسطى ذاتها ،أساس السياسة والاجتماع فيه ، بمعنى ان الهوية الجمعية للمجتمع، تستند الى تلك الطبقة بحكم تعددية المجتمع عرقياً وثقافياً، لغياب الشق الاجتماعي الموحد للهوية الأمريكية او ما يعرف بالعصبية .وهذا ما

تدل عليه مسارات التقدم الإنساني التي شهدها المجتمع الأمريكي خلال القرن العشرين، إذ أمكن ملاحظة تباطؤ التطور الثقافي والقيمي ، قياساً بما يحدث من تطور في الجانبين الاقتصادي والتكنولوجي[2]، وهذا ما يدفع الجميع نحو تفهم مصالح

[1] **Alexis De Tocqueville – op.cit p:466**

[2] **جورج قرم – شرق وغرب : الشرخ الاسطوري – ترجمة ماي طوق – دار الساقي – بيروت ٢٠٠٣ – ص: ١٣٦.**

الاخرين وثقافاتهم وتكوينهم العرقي . وليس هناك من ناظم لتفهم تلك الرغائب غير الطبقة الوسطى ، وهذا ما يمنحها القدرة على تنظيم التجانس الثقافي والعرقي بين مكوناتها المتعددة .

**سبتمبر والنزعات العنصرية**

كان لصدمة الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، تأثير ببلورة بعض التحولات في المجتمع الأمريكي ، حيث برزت نزعات عنصرية ضد المسلمين او ذوي البشرة السمراء عموماً، كاطلاق النار على المحال التجارية التي يملكها او يعمل بها افراد ذوي بشرة سمراء، او تلطيخ بعض المساجد بدم خنزير او ارسال التهديدات عبر البريد الالكتروني والبريد الاعتيادي، تتوعد وتهدد المسلمين، وكيل الشتائم لهم ومضايقة المحجبات.

وفي مقابل هذه النزعة العنصرية برز اتجاه في المجتمع الأمريكي ، سعى الى تبني وجهة نظر مختلفة لنزع الحقد والكراهية ، تقوم على دعم المسلمين ومواساتهم وتقديم الحماية المعنوية لاماكن عبادتهم ، الا ان وجهة النظر هذه ،هي تعبير عن توجه الدولة الأمريكية للحفاظ على توازن المجتمع[1].

وعلى أساس أن الطبقة الوسطى هي الحافظ للمجتمع الأمريكي المتعدد والمتنوع، فان النزعات العنصرية ستغيب دورها الحاضن للفرد ، الأمر الذي يجعل النزعات العنصرية تلك تشمل المجتمع كله ، من الآسيويين والهسبانك والمكسيكيين وغيرهم ممن يشكلون المجتمع الأمريكي ، مما يعني حراكاً قد تصل درجات عنفه الى مديات قصوى. وعليه، فاننا نجد من يمدح الاسلام ويشير الى ان عداء الأمريكيين موجه للارهابيين وليس للمسلمين، هم اولئك الذين يمثلون الدولة. اما ما كان يحدث في المجتمع، فهو شيء اخر، اوضح عن وجهه العنصري والعدواني المقيت إذ بدى

[1] www.aljazeera.net 18.10.2001

السلام والتفهم للآخر من مكونات المجتمع الأمريكي، اشبه بالفقاعة التي تتبدد بسرعة جراء الممارسات والسلوكيات التي اخذت في بعض جوانبها الشكل العنيف والقاسي.

فأحداث الحادي عشر من سبتمبر هزت المجتمع الأمريكي واشاعت فيه الخوف والرعب اللذين ارادت الولايات المتحدة ان تزرعهما عند خصومها، مما دفع الفرد الى البحث عن مؤسسة تحميه في مواجهة الخطر الذي برز منذ تلك الاحداث، حيث لم تكفل الطبقة الوسطى وما تمثله من قانون، الحماية له فسعى من ثم الى الانغلاق على ذاته المحاصرة بين المفاهيم العرقية والدينية، اعتقاداً منه بقدرتها على حمايته. فبعد الحادي عشر من ايلول/سبتمبر "" برز نزوع العودة الى الامة من خلال روح متجددة من الوحدة والى انتشار الاعلام الأمريكية والاناشيد القومية بشكل يدل على بحث الفرد عن حلم له"[1].

من هنا برز دور الدولة في السعي الى تطوير حربها على "الارهاب" بانه ليس ضد الاسلام ، لتتفادى النزعات العنصرية التي قد تعصف بالمجتمع كله. فمنذ ان اعلنت الولايات المتحدة الحرب على – الإرهاب – فإنها تعمدت ان تخلط بين عدة مفاهيم لتبرير سلوكها ، فقد اشاعت السياسة الخارجية الأمريكية مقولات مترادفة عدة للتبرير، مثل "الخير والشر" و" الإرهاب والسلام" و"معسكر الخير ومعسكر الشر" لاعتقادها انها بذلك تكسب الآخرين لصفها ، وفاتها انه لايمكنها كسب او تعميم هذه الحرب على أساس ديني او روحاني او ايديلوجي ولا تترجم بواقع الأمر بهزيمة جيش معين او دولة محددة [2].

---

[1] **Reza Aslan–How to win a cosmic War : Gad, Globlization, and the End of war on Terror–New York – Random House, 2009 , p. 120 .**

[2] **Bernard Lewis – Faith and power : Religing and politics in the Middle East – Oxford , New York , Oxford University Press , 2010 , p.132 .**

وفي هذا الجانب علينا ان نشير، ان مفهوم "الجهاد" في الاسلام، لايشرع للمنظمات المتطرفة او الافراد المهوسين، ممارسة العنف باسم الدين. كما ان الصاق صفة الارهاب بالاسلام شكل انتقائي موجه[1]. ونرى ان المدخل للخروج من دائرة العنف هو الحوار والاعتدال ، واعادة النظر في مفهوم الحرب على الارهاب ، او معالجة مختلف اشكال التعصب والعمل على تحسين ظروف المعوزين .

والاكيد في هذا الأمر ان النزوع العرقي الذي شاع في الساحة الأمريكية لم يات كنتيجة مباشرة لاحداث الحادي عشر من ايلول / سبتمبر ٢٠٠١ ، بل ان الاحداث بلورت هذا النزوع واضفت عليه صبغة سلوكية . فمنذ انهيار الاتحاد السوفيتي اواخر عام ١٩٩١ ، وبفعل عمليات الاقتصاد المفتوح وانتشار النمط الاستهلاكي على مستوى العالم بفعل ظاهرة العولمة ، وتحكم قوى السوق وهيمنتها على الانسان وازدياد عدد المهمشين في الارض ، رصد المراقبون ظاهرة تزايد النزعات المختلفة " القومية ، العرقية ، الدينية ...الخ " وذلك كأطر تحمي الأفراد في مواجهة انتشار قيم السوق وبروز الخطر على هوية الإنسان ، ولا ادل على ذلك ، من النزاعات والصراعات العرقية والدينية التي تزايدت وتحددت بنسبة عالية منذ نهاية الثمانينيات في القرن الماضي على الساحة الدولية ، كانعكاس لما يجري من ازمات . وبذلك فان الأمريكي وبرغم كونه صاحب الاتجاه العولمي في العالم ، فانه بات بحاجة الى اثبات ذاته وهويته في مقابل الهويات الأخرى المستندة الى البعد الاجتماعي ، وهو البعد الذي تفتقده الهوية الأمريكية لصالح البعد الاقتصادي[2].

لقد افصحت " المثالية الأمريكية " بفعل ممارساتها عن خواء فكري واخلاقي واعتباري ، حينما اختارت التمييز بين مواطنيها على اساس الدين والقومية ، مثلما

---

[1] حميد حمد السعدون – الغرب والاسلام والصراع الحضاري – دار وائل للطباعة والنشر – عمان – ٢٠٠٢ – ص : ٨٩ .

[2] Arianna Huffington – Third world America : How our politicians are Abandoning the Middle class and Betraying the American Dream– crown 2010 –p: 139–145 .

اختارت تنفيذ سياساتها الداخلية على هذا الاعتبار مما دفع مهاجري " دول الفقر" الى ان تتجه نحو " ذاتها " للبحث عن حماية ورداء يصد عنها السيل العدواني المتدفق نحوها رسمياً وشعبياً ، وهذا بالتاكيد دفعها للاتجاه نحو حوزات مغلقة وتباعد أي شكل من اشكال الاندماج الحقيقي الذي يفضي لمفهوم الموطنة .

كما ان الدولة الأمريكية وان سعت الى حماية بنيانها الاجتماعي فإنها استخدمت لذلك معول الهدم، وذلك عن طريق الإجراءات الحمائية التي اتخذتها لمواجهة ظاهرة – الإرهاب– على المستوى الداخلي ، فأن كان استناد الفردانية الى الطبقة الوسطى وما تعززه من قانون ، فأن مقتضيات هذه الفردانية تتطلب حرية ذلك الفرد ، في حين جاءت الاجراءات الأمريكية متقاطعة مع ذلك المفهوم، الأمر الذي دفع البعض للاشارة اليها بوصفها لاتختلف بشيء عن الاجراءات التي تقوم بها بلدان العالم الثالث في " تقنين" القمع والاعتداء على الحريات المدنية[1].

لقد هزت احداث الحادي عشر من سبتمبر المجتمع الغربي وفي المقدمة منه نموذجه الديمقراطي الاكثر بريقاً في الولايات المتحدة الأمريكية التي اعلنت عن جملة من الاجراءات تتناقض وتتقاطع والمجتمع الديمقراطي . فتراجيديا سبتمبر ، منحت الدوائر السياسية فرصة هائلة للعمل في مجال تسيير المخاطر، لانها تتيح وتبرر كل الأعمال التي شرع فيها . فقد تمكنت إدارة الرئيس بوش الابن في ٢٠تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١ من تمرير قانون الأمن والسلامة الوطنية "Us patriot Act " الذي تبناه الكونغرس ، وهو قانون يندرج ضمن سلسلة من الإجراءات التي لم تكن ممكنة لولا احداث ١١ سبتمبر. هذا القانون اعطى صلاحيات واسعة لوزير العدل وللمؤسسات الأمنية ، في اعتقال او حجز او طرد من يشتبه به ، مع امكانية التنصت على هاتفه وبريده الالكتروني او حساباته البنكية او اعتقاله في معتقلات

[1] **Eric LichtblauBooks – Bush's Law: the Remaking of American Justice – New york: pantheon 2008 – p: 218 .**

خاصة مثل معتقل" غواتنامو" ، بحيث بدت تلك الاجراءات وكانها تشكل " خللاً ديمقراطيا" يعاب استمراره في الحياة الديمقراطية في الولايات المتحدة حتى وان كانت الضرورات تستوجب ذلك ، بحيث شبهها البعض بانها مكارثية مستحدثة[1].

هذه الاجراءات رغم كل التبرير والتسويغ الذي قدمه مشرعوها لقبولها من المجتمع، ستهدم الشق المتعلق بالحرية الفردانية الأمريكية ، كما ستهدم عولمتها الاقتصادية، هذا غير حصار نفسها ثقافياً واعتبارياً ومعنوياً . وبهذه الاجراءات وما سيلحقها فان المجتمع الأمريكي، مرشح لتزايد النزعات العنصرية ليس ضد المسلمين فحسب، بل وبروز التمايزات بين افراد هذا المجتمع المتعدد والمتنوع باعراقه وثقافاته، رغم ما لهذا التنوع من فوائد في تعايش الثقافات وتلاحقها ، لانه بسبب ما حدث فقد شعر الجميع من خارج العنصر الانكلو– سكسكوني ، بان اندماجهم اشبه بالاندماج المؤقت ، وان هناك مسعى من الادارة السياسية ، يقوم على اساس وحدة داخلية على حساب كبش فداء ، وفي الغالب فأن المرشح لذلك، يكون خارج العنصر الانكلو– سكسوني .

**ادلجة المجتمع الأمريكي**

دفعت احداث ١١ ايلول / سبتمبر وما احدثته من صدمة نفسية وسياسية واعتبارية ، الى ادلجة المجتمع الأمريكي على مستويين : البنية المجتمعية والسلطة ، وهذا ما دفع رجال السياسة والثقافة وقادة الرأي الى استخدام مفردات موغلة في العنصرية والعدوانية ، حيث برزت الى المقدمة ، مفردات الحروب الصليبية وبدت طاغية في الخطاب الأمريكي . والادهى والأمر في ذلك الاتجاه ، ان يقود رجال دين هذه الحملة ، ويعطوها مباركتهم ودعمهم رافعين في ذلك من حدة الانقسام والتخندق ،

[1] صوفي بودي جندور – المجتمع الامريكي بعد ١١ سبتمبر – ط١– مطبوعات المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية – باريس ٢٠٠٢ – ص: ٨٩ .

فمثلا القس "فيليب بينهام "المحسوب على الحزب الجمهوري ، يؤكد من على منابر الوعظ، إشادته بـ"الحملة الصليبية ضد الشر لانقاذ الولايات المتحدة عن طريق كشف كذبة اسمها الاسلام" ويعلن ان "يسوع هو الحل وان محمداً ذبح الملايين منذ ظهوره مطلع القرن السابع"[١] في حين ان الاصولي "مارك غابريال" يجد ان " الحل بالنسبة للارهاب يكمن في اعتناق المسلمين المسيحية[٢]".

هذا غير مسعى قس ميامي لاحراق القران في ذكرى ١١ سبتمبر عام ٢٠١٠ وغيرها الكثير الكثير، والمفارقة ان مثل هذه الخطابات والدعوات تكاد ان تحظى بالقبول من جهات كثيرة متنفذة في الاعلام الأمريكي ، التي تصر وتشيع ايراد مفردات الحروب الصليبية، أو تقسيم العالم، الى خير وشر، وحضارة وبربرية...الخ، ومثل تلك الاستخدامات والايغال بتكرارها تمنحها القدرة على التاثير في صناعة القرار السياسي الأمريكي .

فاعادة انتاج مفردات الحروب الصليبية تعبير في الحالة الأمريكية عن ادلجة المجتمع ، وهذا ما بات واضحاً في لغة المقامات العليا الأمريكية حينما استخدم الرئيس الأمريكي – جورج بوش الابن – هذه المفردة ، لانه يجدها في الوجدان الغربي مثال للخدمة النزيهة ورمز لقضية نبيلة تستهدف بلوغ الخير الاسمى والسلام ، في حين ان لها مدلولا اخر في الثقافة العربية – الاسلامية يتقاطع والمفهوم الغربي . ونجد ان الرئيس الأمريكي خاطب الشعب الأمريكي بعد الحادي عشر من ايلول / سبتمبر ، بثقافتهم وما نشؤوا عليه من تعاليم دينية كانت اساساً لبناء دولتهم ، وهذا يعني انه يعيد انتاج الخطاب الديني سعياً بتعبئة المجتمع في مواجهة ظروف ١١ ايلول / سبتمبر [٣].

---

[١] احمد فتحي سرور – القانون والعولمة وحوار الحضارات – مجلة وجهات نظر القاهرة – العدد (٤٢) – يوليو ٢٠٠٢– ص: ٢٢– ٢٤.

[٢] صوفي بودي جندور – مصدر سابق – ص: ٩٨

[٣] د. حميد حمد السعدون –مصدر سابق–ص:١١٥

فالرئيس بوش وكذلك معظم طاقم الادارة السابقة واللاحقة مهوسون دينياً، بل ان الرئيس – بوش الابن – يجد نفسه احياناً اشبه بمرسل الهي لتطبيق ما مطلوب تطبيقه ، ولذلك جرى استخدام الدين لمواصلة اهداف غير نبيلة ، مستغلا النفوذ الكبير للدين في نشاطات السياسية الأمريكية[1]. وهذا يعني ان الدين لعب ويلعب دوراً اساسياً في شكل وصنع القرارات ايا" كانت ساحتها الجغرافية، وهذا يلقي بتبعات اضافية على الولايات المتحدة لتبرير سياساتها، والقبول بها من الاخرين. والغريب ان تلك السياسات مصممة لايذاء وقتل وتشريد المسلمين في مناطق جغرافية متعددة، ومع ذلك فان "الميديا" الاعلامية الأمريكية تضفي عليها حسا رباني ورسالة مقدسة!.

ازاء ذلك فان اعادة انتاج الخطاب الديني بالشكل الذي ذكرناه ياتي في سياق ادلجة المجتمع ، وهو الأمر الذي تبرز خطورته في حالة المجتمع الأمريكي المتعدد ثقافياً، فعندما يبدأ المجتمع بالبحث عن هوية جامعة تعبر عن التفكير الديني المحافظ وعن نقاء العرق الابيض في مواجهة "الاخر"، فبلا شك ان ذلك يفرز الاشكاليات التمييزية في "ذات" المجتمع الأمريكي، وهذا ما يدفعنا لملاحظة الجوانب الهشة والضعيفة المتعددة في " الثقافة الأمريكية"، التي تحاول تبرير سلوكها المتطرف ضد " الاخرين" من الأمريكيين، حيث كان بامكانها الانخراط في نقاش اكثر عمقاً ، والتفريق بين المكونات المتعددة للثقافة الأمريكية وبين سلوكيات البعيدين عنهم سياسياً، مع اهمية الحوار لجوانب الفكر الانفتاحي والليبرالي المتسع في عموم هذه الثقافات وادانة تيار الانعزال والتخندق والتقوقع واشكال "الغيتو"[2].

اما السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد ادلجت هي ايضاً وبشكل غير مباشر، من جراء سعي الإدارة الأمريكية إلى إبقاء التعبئة الجماهيرية في أعلى

---

[1] بوب وودوارد –حرب بوش–عرض وتحليل حسين عبد الواحد–مدبولي الصغير –القاهرة ٢٠٠٣– ص: ٥٤

[2] محمد اركون –الاسلام ،اوربا،الغرب..رهانات المعنى وارادات الهيمنة –ترجمة هاشم صالح –دار الساقي –بيروت ٢٠٠٢– ص:١٤٦

مستوياتها ، ليتاح لصانع القرار هامشاً واسعاً من الحرية . فقد أصبح أي نقد للحملة الأمريكية على افغانستان او الحملة الأمريكية على العراق في المحافل العامة ، يعد من المحرمات ، وهو ما بلور تياراً من المحافظين غدت أفكارهم البسيطة إطاراً مهماً ومحفزاً في تعبئة الرأي العام الأمريكي ، بل أضحى تياراً ثقافياً واسعاً في الساحة الأمريكية . كما ان التعبير عن ادلجة السلطة يبرز عن طريق اثبات الحس القومي كمعيار للتنافس في انتخابات الكونغرس والرئاسة ، وفي صراعات السلطة داخل الادارة الحكومية نفسها ، مما دفع بتوصيفات معينة ان تبرز في وسائل الاعلام مثل " الصقور" و " الحمائم" او " الاعتدال و " التطرف" . والمفارقة في هذا الفرز انه يستند الى اختلاف ايدلوجي وسياسي ازاء دور الولايات المتحدة الأمريكية الكوني والنظرة الى العالم ، لا الى مجرد خلاف شخصي ، ولعل المثل الابرز في ذلك وجهة نظر الفريقين لتسوية الصراع العربي – الصهيوني والتي لعبت فيها " مراكز البحث Think Tanks " المعين في رفد كلاهما بالمبررات والاطارات والافكار التي تدعم وجهة نظرهما ، وهذا بلا شك يعني " ان السلطة ذاتها قد تتحول الى نوع من السلطة المؤدلجة التي ترفع من حدة الظاهرة الصراعية بين اقطابها[1].

ان فكرة البحث عن الانتماءات لدى الأمريكيين وبحث الفرد عن اطار حاضن في ظل الوجود الحزبي غير المؤدلج ، قد يدفع الى اشكال تفتيتية قد تجد الحواضن الثقافية والعنصرية والقومية العديدة والموجودة في الساحة الأمريكية حوامل رفع لادعاءاتها وما تقول به.

وفي هذا الجانب فان الاعلام بكل انشطته يؤدي دوراً محورياً واساسياً في ابراز تلك الحواضن والدفاع عن قيمتها حتى وان كانت تتقاطع ومفهوم الفردانية الشائع في الساحة الأمريكية، ولذلك فان هذا يشير إلى ان ما تراكم من نظرة مسبقة وتقليدية

[1] هادي قبيسي – السياسة الخارجية الامريكية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية – الدار العربية للعلوم – ناشرون – بيروت ٢٠٠٨– ص: ١١٧ .

انما هو خليط من الايدلوجيا " الاصولية " وعناصر من المسيحية واليهودية المتطرفة، شكلت مع بعضها خلفية صلدة لدى الراي العام وصناع القرار في الولايات المتحدة، فضلا عن النظرة العدائية المختزنة في المخيلة الجماعية ، لاتظهر عياناً في اشكال الدبلوماسية المتداولة ، لكنها تشكل ارضية فكرية غير مباشرة وغير واعية تؤثر في صناعة واداء السياسة الأمريكية[1] دون ان ننسى ان مجاميع الضغط في الولايات المتحدة وهو ما تفعله الكثير من مكونات هذا المجتمع القومية والدينية والثقافية ، تؤدي دوراً اساسياً في حماية افرادها من خلال قدرتها على بلورة مطالبهم بافعال سياسية وطنية وليست خاصة[2].

ان التغير الذي نجم عن احداث ١١ ايلول / سبتمبر يكمن في الاضطراب الحاصل في عموم المجتمع الأمريكي مما ترتب عليه ، الطلب المتزايد للحماية العمومية والخاصة ، كما ان اجراءات الادارة السياسية – الخارجية والداخلية – لايفسر كل شيء في الاتجاهات الجديدة ، ذلك ان هناك استمرارية في الطرح المتداول . فحب الوطن ليس بظاهرة جديدة في وقت الازمات كما ان ثقة الولايات المتحدة في استخدام القوة على حساب الدبلوماسية ، بات يشكل ملمحاً اساسياً في الهوية الأمريكية وطريقة تعاملها مع " الاخر "[3].

بضوء ما سبق، نجد ان احداث الحادي عشر من ايلول / سبتمبر أثرت في المجتمع الأمريكي على مستويين : اجتماعي وسياسي ، الاجتماعي عن طريق استفزازها للبحث عن هوية جمعية للشعب الأمريكي ، تعبر عن انتماء اولي اما دينياً او عرقياً. واما سياسياً فعبر ادلجة السلطة وفرز اتجاهات سياسية قد تزيد من حدة

---

[1] **FuuazGerges – America and politicial Islam- Kamperey University press UK 1999 - p:152.**

[2] **Larry Diamond-Developing Democracy,Toward consolidation-Jojns Hopkins 1999 - p: 137.**

[3] **اندروباسيفيش-الامبراطورية الامريكية- ط١-الدار العربية للعلوم-ناشرون-بيروت ٢٠٠٤-ص: ٢٢٨ .**

الصراع الذي تستند اليه السلطة الأمريكية في صنع القرار وبما لايتيح للتسوية بين الاقطاب. كما يتم حل مثل هذه الصراعات في مؤسسات السلطة الأمريكية، وهو الأمر الذي قد يدفع باتجاه ادلجة الاحزاب السياسية غير المؤدلجة اصلا، وبشكل يدفع على بحث المجتمع عن انتماء اولي يعلي من البعد الاجتماعي للهوية، وهذا ما تلمسناه بشكل واضح في انتخابات الرئاسة الأمريكية التي جرت في اعوام ٢٠٠٠ و٢٠٠٤ و٢٠٠٨.

وعلى ذلك، فان الأثر الاجتماعي لتلك الاحداث قد يزيد من التمييز داخل المجتمع الأمريكي بأشكال واضحة، رغم سعي السلطة للتخفيف من حدته ، خاصة وانه مجتمع متعدد الاعراق والثقافات . لكن المفارقة تكمن ، في ان السلطة ذاتها قد تكون طرفاً في الاشكالية ، كونها هي ذاتها ايضاً تتأدلج عبر استمرارها في تعبئة المجتمع لتحقيق الرسالة الأمريكية المتمثلة في " السلام الأمريكي Pax-Americana "[١].

ان اشد مظاهر الغرابة في ما يحصل تكمن ان اكبر ديمقراطية في العالم تعاني من مراقبة سياسية على نظامها السياسي ، الذي يخول نفسه خرق القوانين الاتحادية ، في حين يحاسب ويدين " الاخرين" ممن يفعلون فعله ، والسبب في ذلك ، انتقائية القرار وشكل تنفيذه ، وهو ما تعاني منه كل بلدان العالم الثالث ذات التوجه المختلف مع الولايات المتحدة الأمريكية . ولذلك فانه على الأمريكيين ، سلطة ومجتمعاً، ان يطوروا ثقافة جديدة في مواجهة الأمن ، تراعي اولا، الحقيقة الاكيدة بان الولايات المتحدة، مجتمع مهاجرين وليس مجتمعاً يمت بعصبية قومية او دينية تكفل تماثله في كل شيء[٢].

---

[١] لويس دومون– مقالات في الفردانية : منظور انثربولوجي للايد لوجية الحديثة – ترجمة بدر الدين عرودكي – المنظمة العربية للترجمة – بيروت ٢٠٠٦– ص: ٢٠٩.

[2] Gilbert Achcar – The clash of Barbarians : septenber 11 and the Making of the new world Disorder – Monthly Review press–new york 2004–p: 148 .

والاكيد في هذا الجانب ان الخطر صفر غير موجود في اية بقعة من العالم، كما ان حرية التعبير التي هي من اسس الديمقراطية الأمريكية ، يجب ان تبلغ قدرتها في الحضور الفاعل ، كما ان الضمانات بالنسبة للحريات لاتطبق بنفسها بل على المواطنين – ايا كان بلد هجرتهم – ان يكونوا قادرين على الدفاع عنها ، وفقاً لنصوص وروح الدستور الأمريكي .

**الخاتمة**

ان الحوار والتمحيص في المقارنات والإسقاطات بين الفكر والحضارة في الغرب، وبين المكونات الإنسانية المهاجرة لنطاقه الجغرافي، قد يصعب من الإحاطة به لاسباب ذاتية وسياسية، يشترك فيها المهاجر والمستقبل. ومجتمع الولايات المتحدة الأمريكية ، ولانه اقيم وتطور وتقدم بل وهيمن على العالم في الوقت الحاضر، كان منذ بدايته حتى الان مجتمع مهاجرين. وهذه الخاصية تحتم على مكوناته القائدة والمتنفذة في السلطة ان تعي تلك الحقيقة بعيداً عن الفوقية العنصرية التي تصاحبها شكوك واتهامات جاهزة ضد الاخرين من مهاجري هذا المجتمع، فضلا عن ذلك فقد عجز المجتمع الأمريكي عن امتلاك مصلحة البحث عن المعنى الروحي والاخلاقي، مفضلا تغليب ارادة القوة والهيمنة والشك والاتهام على بعض مكوناته، وعلى امتداداتهم الدينية والقومية خارج النطاق الجغرافي للولايات المتحدة الأمريكية .

فالتعددية الثقافية والدينية والقومية، التي طبعت المجتمع الأمريكي ليست ابتكاراً غريباً، بل هي نتاج عالمنا المتغير، الذي يصفه كثيرون بأنه بات قرية كونية، فالمعضلة الرئيسة في التفكير الاستثنائي ومقولات الخصوصية الثقافية، انما تمثل العتاد النظري الذي يستخدمه السياسيون عندما يواجهون بالتساؤل حول تجاهلهم المتعمد لحرية الافراد وعيشهم الكريم داخل مجتمعاتهم، مما يطعن في اهم مقومات هذا المجتمع المبنى على الفردانية والديمقراطية .

ان حادثة ١١ ايلول / سبتمبر شكلت مفصلا رئيساً في حياة ومسارات عالمنا الحالي ، حيث طفحت فيه كل الأدران المحتقنة عند البعض " الآخرين" كما انها دفعت " الاخرين" تحت وطاة التشكيك والاتهام والإقصاء للبحث عن ملاذات آمنة تمكنهم من مواصلة الحياة. وحصول ذلك معناه تدحرج عنيف لتمزيق روابط ووشائج المجتمع، مما يعرضه للسقوط والتهاوي وهي احد أهم الإشكاليات التي تواجهها الهوية الأمريكية في الوقت الحاضر.

كما ان الاندفاع الحكومي في هذه المسالة يمكن ان ينعكس باندماج مماثل على مستوى الاداء في السياسة الخارجية وتحديداً صوب العالم الإسلامي، الذي تتمثل فيه جل المصالح الأمريكية، لاسيما على المستوى الأمني، الذي تعاني فيه الولايات المتحدة نقصا متزايداً، وعليه فهي احوج الى المصالحة على المستوى الوطني والعالمي.

# American Social Changes and Its Impact on American Foreign Policy after 11th of September Events: Middle Class as a case study

By: Ph.D. Assistant Professor Hameed Al- Sa'adoon

## Abstract

The events of eleventh of September 2001 have made a crucial turning point in the ideology and performance of U.S. foreign policy. Yet, some consider it a new (Westphalia), which established new patterns of international interactions. The most prominent, so far, is the war in Afghanistan 2001, the aggression on Iraq in 2003, and the war on the so-called terrorism, and its consequences on the international level. What happened was the precursor to the political behavior associated with this transition.

Moreover, these events have a great influence on the structure of the American society, mainly on the middle class who has an important role in the American society because of its potential capabilities that enabled it to create a national authority, beyond religions, tribes and sects.

Yet, these events which struck America at the heart, and led America to use certain polices full with doubt, suspicion, harassment, exclusion and detention, that affect the American society in general and let it to search for new forms like nationalist and sectarian grasps, a matter which may lead this great empire to erosion and fall. This research is an attempt to explore the role of the middle class and its importance for the cohesion and strength of American society, after the great quake that hits even American national loyalty.